مجلة كلية

الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية ثقافية تصدر سنوياً مؤقتاً

السنة الأولى - العدد الأول

1395 - 1394 - 1393

1985 - 1984

تصدر عن كلية الدعوة الإسلامية

طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

الخلافة والإمامة قاعدة دينية أم وضع دنيوي؟

التفكير السياسي عند المسلمين
جذوره وابعاده
« الحلقــة الأولــى »

المهدي مفتاح امبيرش

«وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الامامة اذ ما سل سيف في الاسلام على(قاعدة دينية)مثل ما سل على الامامة في كل زمان) هذه عبارة أوردها ابو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في كتابه « الملل والنحل » كثيراً ما تم تناولها من قبل الكثير من الدارسين والباحثين ممن تصدوا لموضوعي الخلافة والإمامة .

والناظر المدقق في هذه العبارة يجد انها تناولت نقطتين هامتين : الأولى يمكن أن نقر بأنها حقيقة تاريخية : تتمثل في ذلك الصراع الدموي المدمر على السلطة والذي كانت نتائجه آلاف الضحايا وعشرات المعارك السياسية نذكر منها على سبيل المثال (صفين . . . والجمل . . . والنهروان . . . وكربلاء . . .) ونذكر على رأس قائمة هؤلاء الضحايا اسماء تذكرنا بعمالقة التاريخ العربي الاسلامي ممن كانت نهايتهم غدراً في مؤامرات اغتيال ، أو قتلاً في ميدان الصراع السياسي الدموي دليلاً حقيقياً على عمق المأساة التي جرتها هذه الامامة والخلافة على العرب المسلمين . نذكر (عمر بن الخطاب . . وعثمان وعلي كما نذكر طلحة . . والزبير . . . والحسين . . . وغيرهم كثير) .

اما النقطة الثانية التي تناولها الشهرستاني والتي تحتاج منا الى بحث وتفصيل قوله « ان ذلك الصراع الدموي . . وتلك السيوف التي سلت انما سلت على قاعدة دينية » أي ان ما يريد الشهرستاني . . وما حاول الكثيرون بعده اثباته هو أن الامامة والخلافة قاعدة دينية .

ولعل اغلب الباحثين الذين اكدوا ذلك وحاولوا اثباته انما كانوا واقعين اما تحت تأثير العاطفة الدينية والاعجاب بشخصيات ابي بكر . . . وعمر . . . وعثمان . . . وقد شدهم هذا الماضي العربي الاسلامي العظيم وتلك الانتصارات الخالدة التي سجلها العرب المسلمون . . في القادسية . . واليرموك . . ونهاوند . وغيرها من المعارك التي قوضت صرح اكبر امبراطوريتين في ذلك العصر . . بيزنطة . . وفارس .

واما انهم أي الباحثين كانوا جزءاً من ذلك الصراع الفكري الذي نتج عن الصراع السياسي العسكري والذي تمثل في ظهور احزاب فكرية تدعم هذا الصراع . وتحاول أن تبرره وان توجد له (قاعدة دينية فكان حزب الشيعة . . وحزب الخوارج . . . وحزب المعتزلة . . . وحزب السنة . . وما تفرع عن هذه الاحزاب من فروع . . . وتيارات وكانوا ولا زالوا من المستفيدين من هذا الصراع .

ان هذين العاملين مجتمعين هما السبب الرئيسي وراء عدم الخوض في موضوع الخلافة و الامامة ومناقشة مدى أحقية كونهما قاعدة دينية أم دنيوية . بل ان هذين الفريقين حاولا والى الآن بدل البحث في الظروف السياسية والاجتماعية التي أوجدت الخلافة . . والامامة ـ البحث عن ايجاد المبررات وصوغ الحجج ومحاولة التنظير لهما ، وذلك تماما كما يورده الاستاذ الدكتور/ ابراهيم بيضون في كتابه « الحجاز والدولة الاسلامية » عندما يقول « ان الخلافة كمؤسسة ونظام ـ وقعت في المأزق التشريعي الذي لم يفارقها بعد ذلك بحيث كان على القيمين عليها أن يجدوا لها التنظير الاسلامي المتطابق ، في ظل ما سمي بالشورى » . .

اننا في هذا العصر وقد باعدت السنوات بيننا وبين اولئك الذين خاضوا صفين . . . . والجمل . . . او الذين سقطوا في النهروان . . او دبروا مؤامرة كربلاء نجد انفسنا ومن واقع التزامنا بقضية الوحدة الدينية وعودة بالمسلمين الى المنبع الصافي للاسلام قبيل فترة الصراع هذه نرى انفسنا ملزمين بالبحث في موضوع الخلافة والامامة بموضوعية بعيدة عن التعصب متوخين فيها انقاذ الشعوب الاسلامية من هذه الفرق والمذاهب البدعة . . . ومذكرين فيها هؤلاء جميعاً بالابتعاد عن عبادة الهوى . . . والعودة الى عبادة الله . . وبأن اولى القواعد الاسلامية هي الاعتصام بدل التفرق ووحدة الصراط مكان تعدد السبل . . . ووحدة مصدر الشريعة بدل تعدد ما يسمى بالمصادر .

ان مجاراة الشهرستاني ومن نحا نحوه في أن الصراع الذي دار . . والسيوف التي سلت . . . والرؤوس التي تدحرجت في معارك الفقه . . كل ذلك كان على قاعدة دينية قول في الواقع يتعارض والغرض من القاعدة الدينية أصلاً . إذ أن القاعدة الدينية من شأنها الا توجد الصراع اصلاً . . وحتى وان وجد كان حسمه في بدايته من أبسط الأمور وأسهلها بحيث لا يصل الى الاختلاف الشديد ناهيك عن الصراع الذي تسل فيه السيوف . . وتراق فيه الدماء .

إن المنطق يؤكد أن الصراع والقتال على الامامة ، والخلافة لم يكن على قاعدة دينية وانما كان لغياب هذه القاعدة الدينية بل قل ان الصراع كان على قاعدة دنيوية وضعية لا اساس ديني لها بحيث يكون الاختلاف في وجهات النظر . . . والتصارع من أجل انتصار هذه الوجهات امراً انسانياً يحصل في كل مكان . . وفي كل زمان . على انه لا يفهم من قولنا هذا أننا نبرر هذا الصراع الذي تم ونلتمس الأعذار له بقدر ما نحلله لنفهم أسبابه ودوافعه .

ان استعمال الدين كشعار لتأكيد وجهات نظر . . او لتبريرها . . واخفاء المطامع السياسية وراء هذه الشعارات ، هو اسلوب حزبي لا يختلف عن استعمال أي شعار آخر اذ ان الاحزاب السياسية في كل زمان ومكان تلجأ دائمًا إلى استخدام الشعار الاكثر لمعاناً . والأكثر بريقاً وتأثيراً في الغالبية . . والشعارات الدينية تظل دائمًا هي الشعارات الاكثر تأثيراً في عواطف العامة والبسطاء . . وكثيراً ما جرت الآلاف من البشر عبر التاريخ في مواجهات سياسية . . . وزج بالبسطاء والسذج في اتون هذه المعارك معتقدين انهم يمارسون عقيدة جهادية توصلهم الى الجنة ، والحقيقة انها توصل الزعماء ذوي المطامع السياسية الى كراسي الحكم اما هذه الآلاف التي تقتل أو تقتل فأمر دخولها الجنة او النار متروك لرب الجنة والنار هذه الصراعات التي تمت باسم الاديان سواء كانت سماوية او وضعية هي قديمة قدم هذا الانسان ذاته . . وما الصراع الذي دار في التاريخ العربي المسلم ولا زال يدور الى الآن الا نموذجاً من نماذج هذا الصراع . ان الاسلام الذي وحد العرب وجمع كلمتهم بعد ان كانوا على شفا حفرة من النار ، والذي جعلهم اخوة بعد أن كانوا أعداء . . . والذي حرم الفتنة . . وحرم الاعتداء والظلم لا يمكن ان يأتي بقاعدة دينية تبرر كل هذا الصراع . . وهذا الاقتتال وحتى نقطع الفرض باليقين لا بد وان نعود الى القرآن الكريم ، والذي يطالبنا رب العزة بالعودة اليه كلما اختلفنا «وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله »[1] نعود الى الله ليحكم بيننا فيما نحن فيه مختلفون وموضوع اختلافنا هل الخلافة والامامة قاعدة دينية ، ام قاعدة دنيوية وضعية املتها ظروف سياسية واجتماعية ؟

ومن هنا فاننا نضع بين يدي القارىء الكريم الآيات القرآنية التي تناولت بالذكر لفظي خليفة وامام .

فلفظ خليفة ورد في القرآن في موضعين : الأول : في سورة البقرة الآية رقم «30» والموضع الثاني في سورة « ص » الآية رقم 26 .

ففي الموضع الأول يقول تعالى في سورة البقرة : ﴿ **واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون** ﴾ . وفي الموضع الثاني يقول : عز من قائل مخاطباً داود عليه السلام ﴿ **يا داود انا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب** ﴾ .

ففي هذين الموضعين يمكن لنا ان ندرك ببساطة أن لفظ « خليفة » لا علاقة له على الاطلاق بالمعنى الاصطلاحي السياسي الذي أعطي له ، باعتباره يطلق على الانسان الذي يكون على رأس أي مجتمع اسلامي ، وليؤدي وظائف دينية ودنيوية متعلقة بحكم موقعه . ثم لتصبح الخلافة بعدها نظاماً اسلامياً سياسياً فالقاعدة الدينية للفظ خليفة في هذه الآية لا تضيق لتصبح هذا الشخص الذي اصطلح على

تسميته خليفة وانما تتسع لتشمل البشر جميعاً أو قل الحكمة من وراء خلق الانسانية كلها . . فأي انسان يلتزم بقانون الله وسنته بحيث ينشر العدل ويقضي على الظلم ويحارب الفتنة ويعمر الكون ، يكون مستحقاً بذلك أن يطلق عليه لقب خليفة الله .

وما قلناه عن الموضع الأول يمكن أن نقوله عن الموضع الثاني ، فرغم ان الخطاب موجه الى داود كما هو ظاهر الا أنه موجه اليه باعتباره قدوة ، وكل المؤمنين في الواقع مطالبون بما طلب من داود سواء نشر العدل ، او مجانبة الهوى ، او الحكم بين الناس بالحق فمن يفعل ذلك يستحق أن يكون خليفة الله ، ومن لم يفعل استحق بذلك غضب الله . . وعذابه . . ان الدليل على عمومية اللقب هو عمومية الحكم والتي اوردها الله بشكل عام أي أن ﴿ **الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب** ﴾ وبالمقابل فان الذين لا يضلون عن سبيل الله هم في الصف الأول مع داود فهم خلفاء الله في ارضه .

أما لفظ (الامام) فهو الآخر قد تناوله القرآن الكريم في موضعين : الأول : ـ في سورة البقرة آية رقم (123) ، والثاني في سورة الفرقان آية رقم (74) ففي الموضع الأول يقول تعالى : ﴿ **واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال اني جاعلك للناس اماماً قال ومن ذريتي ، قال لا ينال عهدي الظالمين** ﴾ ومن الموضع الثاني في سورة الفرقان يقول تعالى : ﴿ **ومن تاب وعمل صالحاً فانه يتوب الى الله متاباً ، والذين لا يشهدون الزور ، واذا مروا باللغو مروا كراماً * والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعمياناً * والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذريٰتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماماً** ﴾ .

إن هذين الموضعين كذلك لا يمكن ان نجد فيهما أية اشارة الى كون الامام هنا يدل على اي معنى ديني سياسي « كمقابل للخليفة ، وهو المعنى الذي تعارف عليه الشيعة واعتبروه أمراً دينياً صرفاً ، وان الامام لا يختار وانما ينص عليه . . وعندما وقعوا في المشكل اختاروا قصة غدير « الخمسة ونسبوا الى رسول الله ﷺ حديثاً ليدللوا على أن علياً تم اختياره بالنص ليبقى المعنى الديني للامام لديهم .

إن الموضع الذي تناول الله فيه ابراهيم باعتباره اماماً جاء استحقاقه ذلك بعد ان ابتلاه الله بكلمات ، وبعد أن تاب الله عليه فاستحق بذلك ان يكون الإمام القدوة في الصبر والاستجابة لاوامر الله وكل من حذا حذوه من المؤمنين استحق ان يكون اماماً قدوة في مسلكه . اما عموم استحقاق «لقب الامام » في الآية الثانية فهي واضحة تمام الوضوح كل الذين انطبقت عليهم الصفات التي اوردها الله تعالى في الآيات السابقة بحيث استحقوا ان يكونوا للمتقين اماماً متى توفرت فيهم هذه الصفات .

من هنا ومن خلال عودتنا الى كتاب الله اتضح انه لا اساس « للخلافة والامامة » باعتبارها قاعدة دينية سياسية بالشكل الذي حاول الكثيرون اثباته والبرهنة عليه . . لذا يبقى امامنا ان نقر ان الخلافة امر دنيوي اقتضته الظروف السياسية والاجتماعية التي كان عليها العرب المسلمون صبيحة انتقال الرسول الكريم الى جوار ربه ، اما ما نجم عنها من اختلاف وصراعات . . وفرق ومذاهب وان كانت الخلافة

والامامة او قل الدين الشعار المرفوع دائمًا الا ان لهذه الصراعات وهذه المذاهب الفكرية التي نظرت لها وجذرتها . جذور يمكن لنا ان نرجعها الى ما قبل الإسلام يوم أن كان العرب على شفا حفرة من النار . .

ان القول بأن الخلافة وضع دنيوي اقتضته جملة من الظروف سوف اتولى توضيحها لا يمكن ان يفهم القاصرون منه أنني اطعن في أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، انني على العكس من ذلك تماماً فانني اعتبر الاجراءات التي تمت يوم السقيفة رغم بعض المآخذ عليها دليلاً على عبقرية هؤلاء وتقديرهم للظروف ، وحسهم والذي وان كان مؤقتاً الا أنه كان ضرورياً .

انتقل الرسول الكريم الى جوار ربه دونما الاشارة الى خلافة ، او امامة او نحوها بل ان وفاته كانت صدمة نفسية كبيرة للصحابة حتى اننا لنجد عمر وهو على ما فيه من قوة وصلابة وقدرة على مجابهة الصعاب ينهار انهياراً كاملاً امام هذا الحدث الجلل الى الدرجة التي يشهر فيه سيفه مهدداً بالقتل كل من يقول بان الرسول قد مات . . وفي غمرة هذا الانهيار النفسي ينسى قوله تعالى : ﴿ **وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل** ﴾ حتى لنجده يقول عندما تلا ابو بكر هذه الآية **كأنني لم اسمعها الا حينها**

هذه المفاجآت التي شلت التفكير بالاضافة الى جملة من الظروف السياسية والاجتماعية والتي يرويها لنا ابن هشام في سيرته على لسان ابن اسحاق قائلاً « ولما توفي رسول الله ﷺ ، عظمت به مصيبة المسلمين فكانت عائشة ، فيما بلغني تقول . لما توفي رسول الله ﷺ ، ارتدت العرب ، واشرأبت اليهودية ، والنصرانية ، ونجم النفاق ، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية » .

وفي تصوير الحال في مكة يقول ابن هشام « حدثني ابو عبيدة وغيره من اهل العلم ان اكثر اهل مكة لما توفي رسول الله ﷺ هموا بالرجوع عن الاسلام .

تحديات جمة وخطيرة للاسلام من الخارج ، ومن الداخل تتمثل في الردة ومؤامرات اليهود والنصارى ، بالاضافة الى خطر آخر اكبر واشد يتمثل في النذير بتفرق المسلمين فيما بينهم وهم في وقت اشد ما يكون الى لم الشعث ورأب الصدع . . . فالانصار يجتمعون في سقيفة بني ساعدة « وسعد بن عبادة زعيم الخزرج يطرح نفسه زعيمًا سياسياً . . » .

وخطباء الانصار يحرضون اهل يثرب « مدينة الرسول في هذا الاتجاه وقد وجدوها فرصة سانحة للاحتفاظ بزعامة العرب بعد ان ظفروا بجعل مدينتهم عاصمة العرب المسلمين . . . ماذا يتصور المرء ، وقد وضع امامه جملة هذه التحديات مجتمعة . . أيحتاج هذا الأمر الى نقاش طويل وحوار بل قل « وشورى » لا يؤمن عاقبتها في هذه الظروف التي اطلت الفتنة برأسها أم ان الأمر يحتاج الى حل حاسم وان كانت اسسه غير اسلامية . . نعم ان الصراع دنيوي . . بل هو صراع قبلي واقليمي بين مكة . . والمدينة يعود بنا الى فترة ما قبل الإسلام عندما كانت مكة قبلة العرب ومركز النشاط الاقتصادي ، بينما

المدينة تابعة لها تدور في فلكها . . . لتصبح المدينة بعد الإسلام وقد تصدرت مركز الزعامة . . . وتحول النشاط . . . الاقتصادي اليها . . واصبحت القبائل العربية تنظر اليها بعين الخوف . . والاحترام وهي تحوي هذه القوة الجديدة العربية المسلمة . .

اذا فحرص الانصار على أن يكون اول من يجتمع في سقيفة بني ساعدة ليسبقوا المهاجرين في البت في هذا الامر كان بمثابة تعبير عن خوفهم من انتقال الزعامة والصدارة من المدينة وعودتها إلى مكة خاصة بعد وفاة الرسول الذي كان باختياره المدينة « مدينة له » صمام الامان امام تطلع القرشيين الى استعادة امجادهم القديمة .

ان عنصر الحسم في هذا الصراع لا يمكن ان يكون اسلامياً بل سيكون انعكاساً لمسببات الصراع ذاتها أي لا بد وأن يكون قبلياً . . اقليمياً خاصة وان اختيار خلف للرسول لا يستند الى قاعدة دينية يمكن الرجوع اليها لحسم الصراع . ان المحلل للحوار والجدل الذي تم يوم السقيفة سوف يكتشف هذه الحقيقة وبسهولة . فها هوذا خطيب الانصار يقول موجهاً كلامه للمهاجرين . . او القرشيين « اما بعد فنحن انصار الله وكتبة الاسلام ، وانتم معشر المهاجرين رهط نبينا وقد دفت دافة منكم (واذا هم اي المهاجرين) « تريدون ان تحتازونا من اصلنا وتغصبونا الأمر أي تملكونا وتستبدوا بنا » .

فماذا يتوقع المرء ان يكون رد المهاجرين او القرشيين . . لا بد وان تكون الحجج مقنعة لاسكات هؤلاء الانصار . . وحيث انهم انصار الرسول وكتبة الاسلام فحق قريش لا يكون منطلقاً من حق اسلامي لأن الانصار يشاركونهم هذا الحق اذ لا بد وان تكون الحجج قبلية واقليمية تشعر الانصار بقيمة قريش ، واحترام العرب لها باعتبارها مقراً لمقدسات العرب المسلمين وغير المسلمين على السواء . . . وباعتبارها تملك حقاً تاريخياً لا يمكن للمدينة ان تنازعها عليه . . . وقد حاول عمر ان يرد على خطيب الانصار قائلاً « فلما سكت أي الخطيب الانصاري ، اردت أن اتكلم وكنت قدأعددت"مقالة اعجبتني اردت أن اقولها بين يدي ابي بكر وكنت اداري منه بعض الحدة" أي أن عمر قد هم بالكلام ولكن ابا بكر لمعرفته بحدة عمر وخشونته في الكلام الأمر الذي لا يقتضيه هذا المقام والنفوس تتقد حدة فمنعه من الكلام لنجده يقول : « أما بعد فما ذكرتم من"خير فأنتم اهله ، وما تعرف العرب هذا الأمر الا لهذا الحي من قريش هم اوسط نسباً . . . وداراً . . » ثم ذكر جملة صفات ومناقب لقريش جعلت الحباب بن المنذر وقد ثارت ثائرته يقول : بمنطق العصبية الجاهلية « انا جذيلها المحلك ، وعذيقها المرجب ان شئتم والله ـ رددناها جذعة » . . .

وبعد جدل وحوار يحاول الانصار ان يصلوا الى حل وسط مقترحين اميرا من مكة واميراً من المدينة . . . ويرفض عمر هذا الاقتراح معللاً ذلك بقوله هيهات (لا يجتمع سيفان في غمد واحد) .

ليستقر الأمر بعد ذلك لقريش ويتم اختيار ابي بكر الذي بايعه الاوس ، وهم من الانصار ليفوتوا

الأمر على سعد بن عبادة زعيم الخزرج . . . وللاوس والخزرج ثارات قبل الاسلام ومواقع اهمها يوم بعاث . . . ثم لتتم الموافقة على اختيار ابي بكر في اليوم التالي بموافقة اغلب الحاضرين عدا علي ، وفاطمة ، والزبير . . والعباس وابي سفيان الذي حاول ان يستغل الموقف فيعرض على علي الامر بحجة ان ابا بكر قد أخذ هذا الأمر وهو اقل بيت في قريش .

يقول ابو سفيان اغلبكم على هذا الأمر اقل بيت في قريش ؟

اما والله لأملأنها خيلاً ورجالاً ان شئت « موجها الخطاب لعلي » .

ان تحليلنا لاجتماع السقيفة وان كان قد حسم الوضع مؤقتاً الا انه لم ينه الصراع ان لم يكن قد وضع اسسه التي تعمقت وتجذرت لتكون بعد ذلك انقلاباً حقيقياً وخطيراً على القاعدة الدينية الاسلامية « الشورى » .

بحيث اصبحت مهمة الباحثين بعد ذلك ليس انتصاراً للشورى كقاعدة دينية ، وانما انتصار للوضع المؤقت الذي لم يستند على قاعدة دينية ، وهو الخلافة بحيث اصبح هم الباحثين « ليس تحليل الأحداث التي اوجدت هذا النظام بقدر ما كانت مهمتهم خلق المبررات له ، ومحاولة ايجاد مؤسسات لهذا النظام ووضع شروط للخليفة . . . وشروط للبيعة . . .

ان اجتماع السقيفة ، لا يمكن ان يكون نموذجاً يقاس عليه باعتبار الأمور التي سبق ذكرها . . . فهو حل طارىء لمعالجة وضع طارىء . . كما ان المدة القصيرة التي بقاها ابو بكر خليفة هي كذلك لا تعد مقياساً فهي فترة قضاها المسلمون في حروب الردة . . . وبداية الفتوحات . . . وما قيل على فترة ابي بكر يمكن ان تقال على فترة عمر ، والتي كانت فترة فتوح ومعارك وتوسع اضطرت المسلمين الى اختيار عمر خليفة لنفس الظروف التي واكبت الحل المؤقت في اختيار ابي بكر بل ان التحديات قد اتسعت وتعاظمت وقد دخلت عناصر خارجية في الصراع والمواجهة . . . ان فترات الحروب في كل العصور هي فترات القوانين الطارئة وليست فترات الدول المستقرة ذات النظم السياسية والمؤسسات التي يمكن ان تدرس وتحلل ويقاس عليها أو تتخذ نموذجاً . إذا فمحاولة تقنين ما واكب خلافة ابي بكر ، وعمر هي محاولة قاصرة وغير منطقية لانها تجهل طبيعة الأحداث التي كانت معاشة في ذلك الوقت . .

هذا بالاضافة الى أن تغيرات كبيرة مهمة في الشكل والمضمون) قد تمت حتى على هذا الحل الطارىء الممثل في الخلافة .

ففي مجال التغيرات في الشكل نجد ابا بكر خليفة رسول الله . . وعمر امير المؤمنين . . . وعلي اماماً . . ونجد كذلك تغيراً في اسلوب الاختيار ذاته فقد رأينا كيف تم اختيار ابي بكر لنرى ان عمر قد تم اختياره من ابي بكر مباشرة . . لنجد عثمان يتم اختياره من لجنة يشكلها عمر ، ان هذه التغيرات في

اسلوب الاختيار هو نتاج الظروف السياسية والاجتماعية التي عاصرها العرب المسلمون آنذاك ، وكذلك نتاج رد الفعل السيء لاحداث السقيفة . . اذ ان فتح المجال امام الناس للاختيار في ظروف كلها حروب وفتوحات وتحديات مجازفة لا يمكن لأحد من هؤلاء الخلفاء الاقدام عليها .وهذا تماماًما تعبر عنه نصيحة عبد الرحمن بن عوف لعمر عندما بلغه ان رجلاً قد قال ان اختيار ابي بكر لعمر كان (فلتة) أي امراً لا يقاس عليه ، وانه « لو قد مات عمر بايعت فلاناً » فقد اغتاظ عمر وقال « إني قائم العشية ان شاء الله في الناس فمحذرهم هؤلاء الرهط الذين يريدون ان يغصبوهم امرهم . .» أي يغصبون قريشاً . .

فكانت نصيحة عبد الرحمن ابن عوف « يا امير المؤمنين لا تفعل ، فان الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم وانهم الذين يغلبون على مجلسك اذا قمت في الناس ونصحه ان يعرض الأمر على بعض الخواص .

اذا فمجمل هذه التغيرات التي طرأت على الشكل كلها تؤكد انها نتاج الظروف السياسية والاجتماعية التي اوجدتها . . على ان التغير الاكبر تم في الشكل والمضمون بعد ذلك حيث جاء معاوية بقوة السلاح ، وحيث استطاع بعدها أن يغيرها الى ملكية وراثية في أسرة بني امية .

ان هذا التغير الذي احدثه معاوية في الشكل والمضمون الذي انتهى بها الى ان تكون ملكية وراثية دون اعتراض عليها من المسلمين باعتبارها خروجاً على القاعدة الدينية اذا اخذنا برأي الشهرستاني ومن جاراه . (اذا استثنينا موقف عبد الله بن الزبير ، والذي كان اعتراضه على اسرة بني امية اكثر من اعتراضه على تغيرها الى ملكية وراثية هو في حد ذاته دليل على ان الخلافة كنظام سياسي) لم تكن واضحة في اذهان العرب المسلمين . .

ان الصراعات التي دارت رحاها ، والتي سلت السيوف فيها لم تكن كما قال الشهرستاني على قاعدة دينية ، وانما صراعات اقليمية واسرية . . . صراعات اقليمية اوجدت الخلافة . . . وخلافة قريش حيث كان الخلفاء كلهم من قريش . . وصراعات عائلية اوجدت لنا دولة بني امية ، ودولة بني العباس ، والدولة الفاطمية . أي ان الصراعات العائلية قبل الإسلام . . . وما تمخض عليه اجتماع السقيفة قد كبرت الآن وتعاظمت لتأخذ شكل صراع سياسي على الحكم انتج لنا انظمة ملكية ووراثية . . بحيث اصبحت الخلافة مجرد لقب لهؤلاء الملوك . بل ان التيارات الفكرية نفسها من شيعة . . وخوارج . . ومعتزلة . . وسنة . انما وجدت لتدعم هذه الاحزاب السياسية المتصارعة . انه تماماً كما يحدث الآن عندما يدخل حزب من الاحزاب حلبة الصراع السياسي طارحاً برنامجه السياسي في شكل شعارات براقة لخداع الجماهير ومع هذه الشعارات يوظف اجهزته الاعلامية لنشر هذه الشعارات والدفاع عنها .

اذا فالتيارات الفكرية . . وحركة الفرق والمذاهب لم تكن سوى اجهزة اعلامية اوجدها الصراع السياسي على الحكم لتكون بعد ذلك اداة خطيرة ومدمرة في تجذير الصراع وتعميمه . . بين المسلمين بعامة ، وليجد فيه كل ذي مطمع ومصلحة باباً ينفث من خلاله سمومه ويقنع بها أعداءه فعلى سبيل المثال

نجد . ان الشيعة في حقيقتها ليست سوى اعلام علي وآل البيت في تأكيد حقهم في حكم العرب المسلمين ـ والمبررات التي تم طرحها هي مبررات منطقية في ذلك العصر اذا اخذنا في الاعتبارات الحجج والمبررات التي اوصلت ابا بكر إلى ذلك الموقع .

فما دام اختيار ابي بكر كان يفتقد الى القاعدة الدينية واستند فقط الى كونه من قريش وانه من رهط النبي ﷺ ، فان آل البيت بحكم هذا المبرر هم احق لانهم من قريش ولانهم اقرب الى النبي من أبي بكر وعمر . ولهذا اعتبر بعض المنظرين للشيعة خلافة ابي بكر وعمر اغتصاباً لحق علي في السلطة .

كما نجد الخوارج وهم الذين خرجوا على علي لم يكونوا الا صوت الاقليات غير العربية التي ارادت الاستفادة من الصراع الدائر داخل الجسم العربي ليرتفع صوتهم مطالبة بمشاركة كل المسلمين في الاختيار . . . واذا تجاوزنا هذه الفترة الى عهد بني امية وبني العباس ومن جاء بعدهم فاننا نجد ان هذه الاسر الحاكمة او الاحزاب السياسية الحاكمة قد رفعت الشعارات بشكل مزايدة على الاحزاب المعارضة لها . . ففي حين كان الشيعة يطالبون بحق آل البيت نجد الامويين باعتبارهم معارضة يرفعون شعار العرب بحيث كانت الدولة الاموية من حيث الشكل دولة عربية ، وان كانت من حيث المضمون أسرية هي الأخرى . . . كما نجد العباسيين وقد اتسعت الدولة وشملت عناصر غير عربية يطرحون ارضاء للخرسانيين في البداية ثم الاتراك في النهاية . شعار اسلامية الدولة وان كانوا في واقع امرهم نظاما ملكياً أسرياً . إذاً فهذه الاحزاب السياسية الاسرية حاولت ان تستغل الظروف السياسية والاجتماعية لصالحها في شكل شعارات ووضعت لها مذاهب فكرية تخدم مصالحها وهو شأن الأحزاب السياسية في كل زمان ومكان .

غير اننا نجد وان كانت هذه الأسرة قد اختفت بحكم الزمن الا أن التيارات الفكرية لا زالت موجودة الى يومنا هذا تؤثر أشد التأثير في الحياة السياسية للشعوب الاسلامية ولا زالت هذه التيارات الفكرية سلاحاً مؤثراً في الصراع السياسي الحالي بحيث يستطيع أي باحث بأقل مجهود ان يوضحه . . وهذا ما سوف احاول القيام به في دراسة أخرى . تتناول بالتحليل هذه التيارات والمذاهب ، والفرق ، وكيف تطورت حتى عصرنا الحاضر والاشكال التي اتخذتها في اثناء تطورها وانتقالها .

الشورى « القاعدة الدينية »

من خلال ما تم استعراضه في الجزء الأول من هذا البحث رأينا أن الخلافة او الامامة لم تكن في الواقع قاعدة دينية وانما كانت حلا طارئاً لمجابهة موقف مفاجيء . . وان عوامل اجتماعية وسياسية كانت وراء وجوده ووراء التغيرات التي طرأت عليه في الشكل والمضمون . . كما ان الانظمة السياسية التي دخلت التاريخ العربي . . والاسلامي بعامة لم تكن سوى انظمة ملكية وراثية . . الصراع الذي دار بينها وبين معارضيها هو الصراع الاسري الذي ترجع جذوره الى فترة ما قبل الاسلام . كما أن الفرق التي ظهرت مواكبة لهذا الصراع السياسي لم تكن الا انعكاسات لهذا الصراع السياسي على الحكم . . ولم تكن الافكار التي بثتها الا سلاحاً للدعم وللتفويض لهذا النظام أو ذاك .

ان الضرر الذي نجم عن هذه الصراعات لم ينته كما رأينا بانتهاء هذه الاسر بل لا زال مستمراً الى يومنا هذا بحيث ان أي باحث يحاول تحليل هذه التيارات المعاصرة التي تطلق على نفسها (التيارات الفكرية الاسلامية) لا بد وان يعيش فترة الصراع . . وان يحاول تتبع جذوره ليعرف حقيقتها وابعادها .

ان اكتشاف العلاج لهذه الأمراض لا يمكن ان يتم بمعزل عن معرفة اسباب المرض بحيث تبقى معالجة اعراض المرض محاولة تلفيقية وعقيمة ربما زادت المرض ذاته بدل علاجه او التخفيف من مضاعفاته على الاقل .

ان القاعدة الدينية التي فرضت الظروف التي سبقت الاشارة اليها تأجيلها الى حين هي (الشورى) والتي برغم الاتفاق المجمل على انها قاعدة دينية الا ان اغلب الذين تعرضوا لتناولها من المفكرين المسلمين عالجوها متأثرين بالخلافة ومحاولين تطويعها لها . . بحيث اوجدوا ما يسمى بأهل الحل والعقد . . واهل الشورى . . ومجلس الشورى . . غير أن توضيح هذه القاعدة الدينية لا يمكن ان يتم بمعزل عن مصدرها الاساسي القرآن الكريم ، والذي تقف آيات الشورى فيه متحدية بوضوحها وبيانها كل الذين حاولوا ان يجعلوا الشورى لاهل الحل والعقد ، او لمجلس الشورى ولجماعة المسلمين .

ان الحكمة الالهية التي اقتضت ان توضح دائمًا كل الأمور التي لها صلة بالعلاقات الاجتماعية المحدودة التأثير (كالميراث ـ والنفقة ـ والنكاح ـ وغيرها). لا يمكن ان تغفل امراً به صلاح الامم والشعوب وهو الاطار الذي تنظم به الشعوب نفسها وتتشاور بواسطته في امورها .

وقبل التعرض الى الآيات التي تعالج الشورى لا بد من التعرض الى موضوع اعتقد انه مهم باعتباره مقيدًا لمعالجة الشورى ، وهو موضوع الحرية والمسؤولية . او الحرية المسؤولة التي تفرض المسؤولية تجاه هذه الحرية مكافحاً من أجلها ومناصراً للمكافحين في سبيلها من المقهورين والمستضعفين .

ان اولى القواعد التي يجب أن نقررها هي أن الاسلام يعطي احتراماً فائقاً لموضوع المسؤولية ويؤكد ذلك أن المسؤولية لا يمكن فصلها بحال عن الحرية بل اعتبر أن من نافلة القول ، أن اذكر ان الحرية والمسؤولية تعملان في انسجام متكامل بحيث نقرر انه اذا انعدمت المسؤولية انعدمت الحرية ، واذا انتفت الحرية ، كان لزاماً لذلك غياب المسؤولية ان الانسان المسؤول هو ذلك الانسان الذي يكون في وضع يسمح له بالاختيار وان الاختيار هو مظهر من مظاهر الحرية ، فاذا اختار الانسان عن قناعة ، وبدون تأثير من احد كان في ذلك الوضع حراً وهذه هي الحرية التي تضع على عاتقه بالتالي حمل المسؤولية .

ولكننا عندما نتحدث عن الحرية في اطارها الاسلامي ، فاننا نقصد بها الحرية في مفهوم الانسان الحر الذي يعرف الحرية ، ويقدرها ، ولا يرى قيمة للحياة بدونها ولا يلذ له نوم حتى وهو حر ان يرى غيره يرسف في قيود الذل والمهانة ، ذلك أن الوضع الأخير وضع باطل والانسان ـ المسلم مطلوب منه محاربة الباطل في أي مكان وفي أي زمان .

ان الاسلام وهو يقدم الحرية انما يقدمها حرية انسانية ، حرية متزنة ، مدركة هذه الحرية لا تجمح فتنتهك حرية الآخرين وتستعبدهم ولا تسف فتجعل الانسان يرسف في قيود الذل والمهانة .

ان اولى الحريات التي يقدمها الاسلام للانسان حرية الاعتقاد « لا اكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي » «فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر » فالله سبحانه وتعالى الذي لا يكلف نفساً إلا وسعها جهز الانسان بكافة الوسائل التي تمكن من الاختيار « الم نجعل له عينين ، ولساناً وشفتين ، وهديناه النجدين » « انا هديناه السبيل اما شاكراً واما كفوراً » اذا فالله قد ترك له حرية الاختيار . . . وزوده بكل الامكانيات التي تمكنه من الاختيار فاذا اختار ترتبت عليه بذلك مسؤولية الاختيار أما إذا فقد القدرة على الاختيار ، ولم يستطع التميز بفقد هذه القدرة على الاختيار « وهي العقل » سقط عليه التكليف « وما ربك بظلام للعبيد » .

واذا ترك الله للانسان حرية الاعتقاد وحمله مسؤولية اختياره فقد جعل الانسان مسؤولاً امام نفسه ومسؤولاً تجاه اسرته . . . . ومسؤولاً تجاه غيره من ابناء المجتمع ، كما جعله مسؤولاً تجاه الانسانية جميعاً باعتباره خليفة الله في الأرض .

اذاً فالقاعدة الدينية وفق هذا التصور لا بد وان تتسع لتعطي الانسان حرية الاختيار وحرية القرار ولا يمكن ان تكون القاعدة الدينية لتنظيم المجتمع المسلم محدودة بحيث تمنع أي انسان من المشاركة ومن القرار .

فاذا وجدت سيداً وعبداً في دولة تدعي الاسلام فكذب ما ترى وصدق الاسلام . واذا رأيت حاكماً ومحكومين ، فلا تصدق ما ترى ، وصدق الاسلام ، ذلك ان الاسلام دين الحرية ، لانه دين المسؤولية وعلاقة السيد بالعبد قائمة على اساس الامر من الأول والطاعة من الثاني ، أي انتفاء للاختيار وانتفاء بالتالي للحرية . . . وعلاقة الحاكم والمحكومين علاقة قائمة على سلب المسؤوليات من الجميع وتركيزها في يد الفرد ، أو القلة وهذا بكل تأكيد مناقض للاسلام لانه دين المسؤولية ، ولانه دين الحرية فاذا وجد أي نظام مهما كان اسمه يقوم على سلب المسؤوليات من الكل وتركيزها في يد فرد او مجموعة فثق ان هذا النظام ليس نظاماً اسلامياً على الاطلاق .

ان النظام الوحيد الذي ينسجم مع كل المعطيات التي تحقق الحرية والمسؤولية هو نظام الشورى الذي هو القاعدة الدينية الوحيدة التي ارتضاها الله سبحانه وتعالى .

كما أن تحليلنا لآيات الشورى ومن خلال القرآن سوف يوضح لنا مدى فداحة الانقلاب الخطير الذي تم ضد الشورى باعتبارها قاعدة دينية دون سواها .

هذه القاعدة التي لا نجدها لفظاً عمومياً وانما نجدها سورة متكاملة في القرآن الكريم ، ولا نجدها غامضة مبهمة بل نجدها آيات بينات لا يمارى فيها الا من اراد الله له ضلالا . .

وختم على سمعه وبصره وطبعها على قلبه .

يقول تعالى في سورة الشورى : ﴿ **فما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا ، وما عند الله خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش ، واذا ما غضبوا هم يغفرون * والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون** ﴾ .

الشورى التي تناولتها هذه الآية في اللغة مأخوذة من اشتار العسل اذا قصد مظانه وجمعه ومعناها الذي جاءت به الآيات لا يخرج في جانبه المعنوي عن هذا المعنى كما سوف يتضح .

فالله سبحانه وتعالى يتحدث في هذا المقام عن الذين آمنوا ، وهو بذلك يعطي صفات لهؤلاء الذين آمنوا الذين جعلهم يبتغون ما عند الله ، غير متكالبين على متاع الدنيا والذي هو متاع الغرور كما ذكر انهم يتوكلون عليه ، والتوكل على الله دون سواه صفة من صفات الايمان ، كما جعلهم يبتعدون عن اقتراف كبائر الاثم وارتكاب الفواحش ، ووصفهم كذلك بالحلم والمغفرة في ساعات الغضب وانهم استجابوا لربهم فاقاموا الصلاة ، وجعلوا امرهم شورى ، وانفقوا مما رزقهم الله ، وانتصروا لله اذا ظلموا .

والمتدبر لهذه الآيات يمكن ان يخرج منها بالآتي :

أولاً :ـ ان الصفات التي تم ذكرها هي صفات للذين آمنوا ، وأن كل مؤمن يجب أن يحرص عليها كي يكتمل ايمانه .

ثانياً : ـ ان نقصاً في أية صفة من الصفات السابقة هي نقص في درجات الايمان على المسلم أن يكملها .

ثالثاً : ـ ان الشورى هي صفة من صفات الايمان لا بد من تحققها للفرد والجماعة .

رابعاً :ـ ان الشورى هي صفة فردية بل تصل الى مرتبة كونها عينية بدليل مجيئها بين اقامة الصلاة والانفاق وبالتالي لا يجوز لأحد القيام بها بدل الآخر . كما ان الصلاة لا يمكن لأحد ان يؤديها نيابة عن انسان آخر .

خامساً :ـ ان الشورى تكون في الأمر والامر هو كل ما يشغل المؤمنين ويهمهم من شؤون الدنيا .

سادساً : ـ أن الشورى لا تمارس في قمة وقاعدة وذلك بدليل الظرف المكاني في قوله تعالى ﴿ **بينهم** ﴾ .

من هنا ندرك ان القاعدة الدينية للشورى هي في كونها صفة من صفات الايمان وانها للمؤمنين جميعاً وفي امرهم ، وبينهم ، اذا فالنظام السياسي لاي مجتمع مسلم لا بد وان يتسع بحيث يمكن المؤمنين جميعاً

من المشاركة في اتخاذ القرار وممارسة الشورى .

ان التفكير الاسلامي ، وقد تحرر الآن من الظروف التي واكبت اجتماع السقيفة ، ومن العوامل التي ابرزت التيارات الفكرية . . . وقد تخلص من سيطرة الأسر ، والعائلات وقد جرب مأساة التفكير في اقامة مجتمع الدولة الاسلامية والذي تجاهل العامل القومي « الاجتماعي » مما سبب في الصراعات القوية والتي غذاها كثير من التيارات والمذاهب الفكرية هذا التفكير لا بد وان يبحث في الاسلوب الذي يمكن كل شعب من الشعوب الإسلامية من ممارسة هذه القاعدة الدينية المتمثلة في الشورى .

ان الاسلام يقدم لنا النموذج العملي الذي يجب أن يقود التفكير الاسلامي في اتجاه تطبيق هذه القاعدة . . ان صلاة الجمعة . . وصلاة العيدين . . وغيرها من العبادات الجماعية ليست سوى مؤتمرات من الممكن أن تؤخذ فكرتها كنموذج لخلق الاسلوب الذي يمكننا من تحقيق الشورى .

غير ان اعتراضين قد يقدما « عن جهل » لهذا التحليل ، وانا اقول عن جهل لأن هذا التحليل ليس اجتهاداً فردياً بمقدار ما هو شرح بسيط لهذه الآيات القرآنية يمكن لأي انسان رفض سلطان الهوى ان يصل اليه . . .

فالاعتراض الأول الظاهري ان جعل الشورى للمؤمنين جميعاً وبينهم يتعارض (وأولي الأمر) الذين اشار الله اليهم في سورة النساء في قوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ فهذه الآية توضح ان هناك اولي الأمر من الضروري وجودهم ومن الواجب طاعتهم،ان هذه الآية قد استغلت لاثبات وجود الفرد الحاكم ولايهام المسلمين بضرورة طاعته وعدم رفضه والثورة عليه ذلك لأن الثورة عليه ورفضه هي ثورة على الله وعدم طاعة لاوامره . . وكثيراً ما سمعنا ابواقاً تردد في كل عصر ان هؤلاء « الاباطرة ـ والقياصرة » وان اختلفت اسماؤهم من ملك الى امير الى شيخ . . الى رئيس جمهورية هم اولو الأمر وان طاعتهم من طاعة الله ورسوله وعصيانهم من عصيانها . . وقد فهم الكثير من المسلمين وجوب ذلك فاحنوا الرؤوس طاعة ، وقبلوا الأيدي . . . واعلنوا الرضوخ والاستسلام .

كلا ! ما اراد الله للمسلمين ان يحنوا الهامات لأحد الا لله . . وان يعلنوا الطاعة لاحد الا لمشيئته . . ان اي محاولة لفرض هيمنة هؤلاء على المسلمين هي محاولة تقف في الصف المعارض للاسلام ولابسط قواعد الايمان التي جاء بها .

ان مفهوم اولي الأمر لا يمكن ان يفهم خارج سياق آيات الشورى بالتحليل السابق ،فالمؤمنون جميعاً مطالبون بممارسة الشورى ، وفي امرهم بينهم ،فاذا وصلوا الى قرار اختاروا من بينهم اصحاب هذا الأمر أي « اولي الأمر » اذا ، فولاية الأمر مرحلة ثانية بعد الأمر ذاته فاذا لم يكن هناك امر اساسي ، او ان هذا الأمر لم يترك التشاور فيه للمسلمين جميعاً وبينهم كان وجود اولي الأمر من باب اولي وجوداً غير جائز ان لم

يكن غير ضروري على الاطلاق . . . كما أن مجيء اولي الأمر بصيغة الجمع مع ان السياق هو الافراد يأتي دليلاً على ان اولي الأمر ليسوا فرداً وانما جماعة بحيث تسقط نظرية الفرد الحاكم التي ينظر لها كثير من الجاهلين .

هذا هو الاعتراض الأول ، أما الاعتراض الثاني ، فهو الادعاء بانه من المستحيل أو من غير العملي ممارسة الشورى بهذا الشكل العام . . . وهذا الاعتراض بدوره نتاج قصور الفهم ، او ربما هوى ، ذلك ان آيات الشورى قد وضعت الاساس العملي الذي تمارس به الشورى ، اما كيف يقسم المجتمع بشكل يمكن المجتمع من ممارسة الشورى فهي قضية تنظيمية اكثر منها فقهية دينية فالمهم هو تحقق القاعدة الدينية الشورى . . .

كيف ينظم المسلمون على اساس هذه القاعدة

ظل حلم اقامة الدولة الإسلامية حلمًا يراود خيال الكثير من المفكرين المسلمين وهم ينظرون للنظام السياسي . . . وهو نفس الحلم الذي طمس عليهم التفكير في مسألة الخلافة والامامة باعتبارها قاعدة دينية او دنيوية ان الدولة الاسلامية في الواقع لم تتحقق يوماً ما من الايام . ففي زمن الخلفاء حتى وان جاريناهم القول واعتبرنا ما وجد دولة فهي دولة قريش . . . وفي عهد بني امية هي دولة اسرة من قريش ، وكذلك في زمن بني العباس . . أي انها حتى وان حاولت ان تتظاهر بمظهر الدولة الاسلامية فهي في الواقع لم تكن دولة اسلامية بل ان حركة ما يسمى بالشعوبية هي حركة تؤكد ان هذه الدولة لم تكن موجودة اصلاً بالتصور الذي يحاول بعضهم طرحه .

ان الشعوبية رغم ما وصفت به من اوصاف ، وبرغم ما نسب اليها من سلبيات هي في الواقع رد فعل طبيعي لتكوين سياسي غير طبيعي ان دولة تدعي رفع شعار الاسلام الذي يؤكد المساواة ، وعدم التفاضل الا بالتقوى في الوقت الذي تجعل السلطة فيها لقبيلة كقريش ، ولاسرة كبني امية او بني العباس هذه الدولة لا يمكن ان يكون رد الفعل فيها الا المعارضة والرفض ليس فقط في المستوى القومي بل حتى على المستوى الاسري وهذا ما اكده صراع الاسر الدموي ، وما اكدته حركة الدويلات المنفصلة عن جسم الدولة . . .

ان التكوين الطبيعي لاي دولة من الدول هو الاساس القومي أي الاساس الاجتماعي وهذا ما يؤكده القرآن نفسه فخلق اي كيانات صناعية سوف ينهار حتمًا امام العامل القومي او الاجتماعي الطبيعي ، كما ان الاعتراض على الأساس القومي في تكوين الدول هو اعتراض على المشيئة الالهية التي اقتضت خلق الناس شعوباً وقبائل . . .

ان أي شعب اسلامي له الحق في اقامة نظامه السياسي على اساس القاعدة الدينية الممثلة في

الشورى . .

تأكيداً لقول الله تعالى : ﴿ **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم** ﴾ .

ان الاسلام يمكن ان يحقق للشعوب الاسلامية رابطة روحية ، ويمكن لهذه الشعوب التي تطبق الشورى ان تنظم علاقاتها العامة كشعوب تدين بدين واحد بشكل يحقق لها التنسيق والتعاون ، ويمكن ان يكون هناك مؤتمر شعبي عام لكل الشعوب الاسلامية يتم في هذا المؤتمر صياغة القرارات التي تتخذها الشعوب الإسلامية في مجال العمل الاسلامي والتعاون ، ويمكن ان يتم اختيار لجان تنفيذ من هذه الشعوب لتتولى تنفيذ هذه المقررات . . .

ان هذا الشكل الذي ينسجم مع التكوين الطبيعي لكل شعب من الشعوب علاوة على انه لا يتعارض مع الجعل الالهي للناس شعوباً وقبائل . . يقضي على مبررات الصراع القومي ، وينهي الحركات الشعوبية القومية الانفصالية بعد ان يزول السبب الاساسي لها وهو تحكم شعب في شعب آخر . . . ان القول بتكوين دولة من مليار مسلم متعددي الشعوب واللغات والثقافات هو حلم جميل ولكن لا يزيد عن كونه كذلك اما في الحقيقة فان من المستحيل اقامة مثل هذا الكيان . . .

ان المفكرين المسلمين لا بد عليهم وان يتجاوزوا التفكير الطوباوي الى تحليل الأمور تحليلاً علمياً . . وتجاوز عقد العاطفة والوهم . . . ومحاولة التفكير الجدي في ايجاد صور للتعاون الامثل بين الشعوب الاسلامية . . . وفي العمل على تحرير هذه الشعوب من تسلط انظمة الحكم . . وتسلط الادوات الدكتاتورية والحزبية والتأكيد على القاعدة الدينية (الشورى) التي تحقق الحرية في كل شعب من الشعوب وتضع كل فرد امام مسؤولياته . .

ان النظام السياسي الذي يقام على اساس الشورى لكل الناس وبينهم دونما نيابة او تمثيل هو النظام الوحيد المستند على القاعدة الالهية والذي سوف ينتصر ضد كافة الانظمة السياسية السائدة الآن في العالم . . ولكن بقدر ما في هذا النظام من عوامل البقاء والانتصار بقدر ما يحتاج الى قوة مؤمنة تدعو له وتحرض عليه احقاقاً للحق وابطالاً للباطل « واولئك هم المفلحون » . . .

المصدر : القرآن الكريم

المراجع :

(1) ابن هشام ، السيرة ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ط/ 3 ، 1971م .

(2) ابراهيم بيضون ، الحجاز والدولة الاسلامية ، بيروت ، ط/1/1983م .

(3) ابراهيم الشريفي ، التاريخ الاسلامي ، دار اليقظة العربية ، السعودية ط / 2 / 1971م .

(4) الشهرستاني ، الملل والنحل ، مطبعة مصطفى الباسي الحلبي ، مصر ط/2/1961م .

(5) محمد يوسف الكاند هلوي ، حياة الصحابة ، دار القلم ، بيروت ط/ .